المحاضرة الثّانية:

اتّجاهات البحث اللساني العربيّ

– تمهيد:

إنّ تحديد لحظة النّشأة فيما يتعلّق بالدّرس اللّسانيّ العربيّ يرتبط برصد ظروفها وملابساتها، من حيث ارتباطها بالضّرورة بالمناخ العام الّذي حكم الفكر العربيّ الحديث ابتداءً ممّا عرف بـ"**عصر النّهضة العربيّة**" أوائل القرن "**التّاسع عشر**" الّذي كان وليد ظروف **التدخّل الاستعماري** في البلاد العربيّة.

وقد شكّل القرن "التّاسع عشر" منعطفًا حاسمًا في تكوين الفكر العربيّ الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع إصلاحيّة كبرى على المستويات جميعًا، وضرورة إعادة النّظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التّطوّر الحاصل في الغرب الّذي صدم العرب للمرّة الأولى مع الحادث الاستعماريّ.

– اتجاهات البحث اللسانيّ العربي:

لقد وضع هذا الوعي العرب أمام نموذجين حضاريين، وجعل اللّسانيات العربيّة الحديثة تعيش حالة من المدّ والجزر بين طرفين وفي ذلك يقول الدكتور "تمام حسان": "**وتشعّبت المسالك أمام الشّعب بعد أن تثاءب وتمطّى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقًا في الماضي يقوده إلى التّراث العربيّ الخصب، ورأى أنّه لو بعث هذا التّراث وأحياه لكان دافعًا لعزّة جديدة لا تقلّ روعة عن التّأريخ العربيّ نفسه، ووجد أمامه طريقًا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف... ثمّ رأى أنّه لو سلك الطّريق الأوّل فحسب لا تقطع به التّاريخ عن الحياة، ولو سلك الثّاني فحسب لا تقطّعت به الحياة عن التّاريخ ففضّل أن يأخذ بنصيب من التراث العربيّ يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثّقافة المعاصرة يمنحه العزّة**".

يؤكّد "**تمّام حسّان**" من خلال هذا القول بأنّ الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة تتوجّه اتّجاهين أساسيين هما: التّوجّه إلى التّراث العربيّ، أو التوجّه صوب الدّراسات الغربيّة، ويرى كذلك أنّ أفضل طريق

هو الجمع بين الاثنين(التوفيقي). لذلك اتّخذت اتّجاهات البحث اللساني العربي ثلاثة اتجاهات تتجسّد في:

1- الاتّجاه التقليديّ: وهو اتجاه عائد **إلى الماضي** باعتباره هويّة الأمة الواجب الحفاظ عليها بتكريسها كرؤية صالحة لكلّ زمان ومكان، والّتي يعدّ تجاوزها شكلًا من أشكال الخيانة، معتمدًا في طرحه على أساليب الاستنطاق محاولًا ربط كلّ جديد يظهر بالتّراث.

2- الاتجاه الحديث: وهو يعمل على **تمثّل الحاضر** باعتباره عملًا وضع لزمن غير زماننا، ويعالج قضايا لم يعد لها وجود في واقعنا، وهو يمارس عبر طرحه كلّ أشكال الاستيراد والتّبنّي للمناهج والرؤى الغربيّة على النّتاج الفكريّ واللّغويّ بحجج مختلفة نحو العلميّة والعالميّة والحداثة وغيرها. **"وبذلك كان الفكر العربيّ الحديث يتشكّل بقطبين متنافرين: سلفي يحاول أن يعيد إنتاج الموروث الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدّلة تعديلًا جزئيًّا، وحداثيّ يحاول أن يتبنّى المسار الحضاريّ الغربيّ بكلّ تفاصيله ويعلن القطيعة من القطب الأوّل".**

3-الاتجاه التوفيقي:

لقد اتّجهت اللّسانيّات العربيّة الحديثة إلى ما يمكن تسميّته **باللسانيّات التوفيقيّة** التي تتبنّى نموذجًا وصفيًّا يمزج المقولات النّظريّة الغربيّة الحديثة بمقولات البحث العربيّ، وكان هذا الموقف الأساسيّ في اللّسانيّات العربيّة.

- خلاصة:

ولما كانت الدّراسة اللّغويّة جزءًا من نشاط هذا الفكر يتبع انقسامه وأحواله، فقد خضعت بالفعل إلى ما خضع له هذا الفكر من صراع بين أصول نظريّة مختلفة استمدّت منها وجوده. ولما كانت اللّسانيّات العربيّة الحديثة محاولة لنقل النّظريّة اللّسانيّة الغربيّة الحديثة –بحسب رأي الباحثين- فقد واجهت الصّراع نفسه من مرجعيّات مختلفة، منها ما يتبع البحث الفيلولوجي، ومنها ما يرتدّ إلى التصوّرات القديمة الّتي شكّلتها النّظريّة اللّغويّة العربيّة القديمة. وفي فوضى هذه التّقاطعات حاول البحث اللّسانيّ العربيّ أن يبني لنفسه هيكلًا مستقلًا يصف من خلاله اللّغة العربيّة معتمدًا على كلّ هذه الأصول النّظريّة، مع مراعاة ما يتطلّبه الواقع اللّغويّ اليوم من نظر خاص.